

ملخص خطبة الجمعة بتاريخ ٢٨/٦/٢٠٢٤

في المسجد المبارك بإسلام آباد في بريطانيا

كان الحديث جارياً عن قتال بني النضير يقول حضرته في هذه الخطبة:

قد ذكر حضرة ميرزا بشير أحمد رحمته الله تفاصيله في كتابه سيرة خاتم النبيين كما يلي: لقد عين النبي صلى الله عليه وسلم ابن أم مكتوم إماماً للصلاة خلفه لسكان المدينة المنورة، وسار من المدينة مع جماعة من الصحابة وحاصر قرية بني النضير الذين تحصنوا بحصونهم على عادة القتال في ذلك الزمن. فأرسل عبد الله بن أبي بن سلول وغيره من المنافقين في المدينة إلى زعماء بني النضير أن لا ترتعبوا من المسلمين أبداً، فإننا نصركم ونقاتل معكم. ولكن عندما بدأ القتال خيبروا ظن بني النضير فيهم ولم يجرأوا على أن يتزلوا علنا في ساحة القتال ضد النبي الكريم صلى الله عليه وسلم وينصروا بني النضير ضد المسلمين وإن كانوا يوالونهم في قلوبهم ويساعدونهم سرا.

استمر حصارهم لعدة أيام، وأثناء الحصار أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بقطع بعض أشجار نخل اليهود وحرقتها. كان اليهود يرمون السهام والحجارة من أسوار الحصون، وكانت هذه الأشجار تهيئ لهم كميناً وسترا يختفون وراءه، فأمر النبي صلى الله عليه وسلم أبا ليلى المازني وعبد الله بن سلام بحرق تلك النخيل. لضرورة قتالية أو دفاعية وليس لتخريب البساتين،

ويبدو أن النبي صلى الله عليه وسلم قد أمر بإحراق هذه الأشجار بناء على وحي الله تعالى، حيث رد الله تعالى على قمة اليهود هذه بقوله لرسوله: ﴿مَا قَطَعْتُمْ مِنْ لِينَةٍ أَوْ تَرَكْتُمُوهَا قَائِمَةً عَلَى أُصُولِهَا فَبِإِذْنِ اللَّهِ وَلِيُخْرِجَ الْفَاسِقِينَ﴾ (الحشر ٦).

كانت هذه الإستراتيجية ناجحة حيث فتح بنو النضير أبواب الحصون بعد خمسة عشر يوماً من الحصار بشرط أن يُسمح لهم بأخذ أموالهم من هناك والخروج بسلام وقال صلى الله عليه وسلم: "أخرجوا من المدينة تأمنون، خذوا ما استطاعت إبلكم من متاع إلا السلاح." متجاهلاً معاناة المسلمين والنفقات التي تحملوها من أجل هذه المهمة، وعين حضرة محمد بن مسلمة رضي الله عنه ليُخرج بني النضير من المدينة المنورة تحت إشرافه. والآن يجب على الذين يتهمون الإسلام والرسول صلى الله عليه وسلم بالحرب والقتل والطمع في الغنائم ونحو ذلك أن يروا أن النبي صلى الله عليه وسلم بالرغم من انتصاره على هؤلاء اليهود الذين ارتكبوا جريمة نقض العهد باستمرار، والذين نسجوا عدة مرات مؤامرات شائنة ومحاولات لقتل النبي صلى الله عليه وسلم الذي كان أيضاً رئيس ولاية المدينة، والآن قد توردوا عليه رسمياً متسلحين، وحتى في هذا الحصار عرض النبي صلى الله عليه وسلم عليهم مرة أخرى أن يعاهدوا من جديد ويتصالحوا، ولكنهم رفضوا عرضه باستكبار، والآن أخيراً عندما تغلب عليهم الرسول صلى الله عليه وسلم كان يحق له أن يعاقبهم أشد العقاب ولكن ظهر شأن عجيب وخلق عظيم حبه صلى الله عليه وسلم للسلام والصلح

والرحمة واللطف بحيث سمح لهم بالخروج بسلام وأمان، وكانت رحمته واسعة لدرجة أنه سمح لهم بأن يأخذوا معهم ما شاؤوا من أموالهم أيضا ما عدا السلاح. ذكرت شروط نفي بني النضير وهي كما يلي.

١. فليهاجر يهود بني النضير من المدينة المنورة إلى حيث أرادوا. أي يجب أن يترك بنو النضير المدينة وليذهبوا حيثما شاؤوا.
٢. سيكون اليهود عزلاً تماماً من السلاح وقت خروجهم من المدينة المنورة.
٣. يمكن أن يأخذ اليهود ما استطاعوا من بضائعهم وممتلكاتهم حاملين إياها على الجمال سوى الأسلحة.
٤. بعد أخذ اليهود ما استطاعوا من الأموال، تكون ممتلكاتهم المنقولة وغير المنقولة المتبقية ملكاً للمسلمين.

كذلك ورد تفصيل الإشراف على عملية الترحيل وخلق اليهود أعذارا كما يلي:

لقد عُهدت مسؤولية نفي بني النضير عن المدينة إلى محمد بن مسلمة. في ذلك الوقت، قدم اليهود عذراً آخر وهو أن الكثير من الناس هنا مدينون لنا، وعليهم سداد هذا الدين بعد فترة محددة، فماذا سيحدث لهم؟ كان هدف اليهود من ذلك أن يُعطوا مزيداً من الوقت للبقاء في المدينة المنورة. فقال رسول الله ﷺ: "عليكم أن تقللوا من مبلغ الدين بإلغاء الفوائد، وأسرعوا للخروج. أي ستُعاد إليكم القروض بشرط أن تُلغوا الفوائد المترتبة عليها وأخرجوا من المدينة سريعاً. وقد ورد عن كيفية نفي اليهود ما يلي: لَمَّا نَفِيَ الْيَهُودَ، حَمَلُوا عَلَى جَمَاهِمِ النِّسَاءِ وَالْأَطْفَالِ وَكُلِّ مَا أَمَكْنَهُمْ مِنَ الْمَتَاعِ، مَا عَدَا الْأَسْلِحَةَ. كَانَ لَدَيْهِمْ سِتْمَائَةٌ جَمَلٌ. قَامَ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ بِهَيْدَمِ بَيْتِهِ وَأَخَذَ الْأَخْشَابَ وَالْأَبْوَابَ وَالنَّوَاظِدَ وَوَضَعَهَا عَلَى الْجِمَالِ. وَفِي رِوَايَةٍ أُخْرَى قَامُوا أَيْضاً بِهَيْدَمِ أَعْمَدَةٍ وَأَسْقَفِ مَنَازِلِهِمْ وَأَخَذُوا الْأَبْوَابَ وَالْأَلْوَابَ وَحَتَّى الْمَفْصَلَاتِ وَأَخْشَابَ الْأَبْوَابِ بِدَافِعِ الْحَسَدِ، لِكَيْلَا يَتِمَّكَنَ الْمُسْلِمُونَ مِنْ إِعْمَارِ هَذِهِ الْمَنَازِلِ بِسَهُولَةٍ بَعْدَ خُرُوجِهِمْ.

وكانت حالتهم عند المغادرة أنهم مَرَّوْا يَضْرِبُونَ بِالِدَّفُوفِ وَيَزْمُرُونَ بِالْمَزَامِيرِ وَيَنْشُدُونَ أَيْبَاتًا مَثِيرَةً وَيَرْقِصُونَ. ولكن النبي ﷺ غض الطرف عن تصرفهم التافه هذا.

لم يكن مطلوباً منهم أن يغادروا شبه الجزيرة العربية كلها، بل كان عليهم مغادرة المدينة المنورة فقط إذ لم يتم جلاؤهم إلا من المدينة، فقد ذهب بعضهم إلى منطقة أذرعات في الشام، بينما توجه أغلبهم إلى خيبر. وكانت مركزاً كبيراً للاجئين اليهود في شبه الجزيرة العربية حيث بلغ عدد مقاتليهم المسلحين قرابة عشرة آلاف، إلى جانب ذلك، كانت فيها العديد من حصون اليهود وكانت هذه المنطقة غنية بالثروات الزراعية أيضاً.

كان يهود الجزيرة العربية جميعهم يعترفون بقيادة بني النضير الذين كانوا يزعمون أنهم ينحدرون من نسل هارون عليه السلام، إضافة إلى كونهم أثرياء كانوا ماهرين في السياسة. فلما ذهب يهود بني النضير إلى خيبر، اشتدت قوة اليهود هناك. وكان يهود خيبر متميزين ومتفوقين في القدرة القتالية والمهارة في الأمور الحربية. كان يهود خيبر مهرة في الأمور الحربية أما بنو النضير فكانوا متقدمين في البصيرة السياسية. وبمجرد أن وطأت أقدامهم خيبر، تمكنوا بسهولة من ترسيخ مكانتهم في موقع القيادة، ونتيجة لذلك، أصبحت خيبر جبهة قتال رئيسية ضد المسلمين.

وورد عن مغادرة أبناء الأنصار مع يهود بني النضير أن بعض الناس من بني النضير خرجوا من المدينة وتوجهوا إلى منطقة أذرعات في الشام، وكان فيهم جماعة من أبناء الأنصار، لأنه إذا كانت امرأة من الأنصار لم يعيش لها ولد تجعل على نفسها - قبل الإسلام - إن عاش لها ولد تهودّه، فكان هناك الكثيرون الذين كانوا أبناء الأنصار أصلاً إلا أنهم هودّوا. فلما أجليت بنو النضير قال آباء هؤلاء الأولاد لا ندع أبناءنا يغادرون معهم، فأنزل الله تعالى آية من أجل هؤلاء كما ورد في السيرة الحلبية بأن الله تعالى قال: ﴿لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ﴾

المال الذي جاء من بني النضير يسمى الفّيء، وأموال الفّيء هي التي تُحصل دون قتال، ولا يُحسم منها الخمس بل تكون كلها تحت تصرف الرسول ﷺ ينفقها حيث يشاء. وقسم النبي ﷺ متاعهم كله على المسلمين لينفقوه في أعمال الخير. وعن ذلك ورد قول الله ﷻ: ﴿وَمَا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ مِنْهُمْ فَمَا أَوْجَفْتُمْ عَلَيْهِ مِنْ خَيْلٍ وَلَا رِكَابٍ وَلَكِنَّ اللَّهَ يُسَلِّطُ رُسُلَهُ عَلَى مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ هنا ظهر نموذج إظهار الأنصار الحب والإيثار الجديرين بالغبطة، فعند توزيع رسول الله ﷺ هذه الأموال دعا ﷺ الأنصار وقال: إن أحببتهم قسمت بينكم وبين المهاجرين مما أفاء الله علي من بني النضير، وكان المهاجرون على ما هم عليه من السكنى في مساكنكم وأموالكم، وإن أحببتهم أعطيتهم هذه الأموال وخرجوا من دياركم. فقالوا: يا رسول الله، بل تقسمه للمهاجرين ويكونون في ديارنا كما كانوا، ونادت الأنصار: رضينا وسلّمنا يا رسول الله. ففرح رسول الله ﷺ كثيرا بهذه التضحية والإيثار وقال: اللهم ارحم الأنصار وأبناء الأنصار! ثم قسم معظم ما أفاء الله عليه للمهاجرين، ولم يعط أحداً من الأنصار من ذلك الفّيء شيئاً، إلا رجلين كانا محتاجين هما سهل بن حنيف، وأبا دجانة، وأعطى رسول الله ﷺ سيدنا سعد بن معاذ السيف المشهور لأبي الحقيق، ثم وزع بقية الأموال على الفقراء وأبقى شيئاً لنفسه لنفقات الأزواج المطهرات. كانت لبني النضير سبعة بساتين عين عليها العتيق أبا رافع، أي كان مشرفاً عليها.

وفي نهاية الخطبة قال حضرته: "استمروا في الدعاء عموماً للأحمديين في باكستان، ولتحسّن الأوضاع هناك، حسن الله الأوضاع الأمنية هناك عموماً وحفظ الأحمديين، وادعوا لتحسن أوضاع المسلمين في

العالم أن يستعيدوا مجدهم من جديد بالإيمان بإمام الزمان. وادعوا لما يظهر من آثار الحرب في العالم
عموما أيضا ويبدو مما تتجه إليه الأوضاع أن الحرب حاصلة لا محالة، فادعوا الله ﷻ أن يعصم من
ويلاهما كل أحدي وكل بريء."